

تفسير ابن كثير

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْبِينَ

وقوله : (نحن جعلناها تذكرة) قال مجاهد ، وقتادة : أي تذكر النار الكبرى . قال قتادة :

ذكر لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " يا قوم ، ناركم هذه التي توقدون جزء

من سبعين جزءا من نار جهنم " . قالوا : يا رسول الله إن كانت لكافية ! قال : " قد

ضربت بالماء ضربتين - أو : مرتين - حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها " . وهذا الذي

أرسله قتادة رواه الإمام أحمد في مسنده ، فقال : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن

الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إن ناركم هذه جزء من

سبعين جزءا من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة

لأحد " . وقال الإمام مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - قال : " نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءا من نار

جهنم " . فقالوا : يا رسول الله إن كانت لكافية فقال : " إنها فضلت عليها بتسعة وستين

جزءا " . رواه البخاري من حديث مالك ، ومسلم من حديث أبي الزناد ، ورواه مسلم من

حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة به . وفي لفظ : " والذي
نفسى بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها " . وقال أبو القاسم
الطبراني : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا معن
بن عيسى القزاز ، عن مالك ، عن عمه أبي السهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي
أشد سوادا من [دخان] ناركم هذه بسبعين ضعفا " . قال الضياء المقدسي : وقد رواه
ابن مصعب عن مالك ، ولم يرفعه ، وهو عندي على شرط الصحيح . وقوله : (ومتاعا
للمقوين) قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والنضر بن عربي : معنى (
للمقوين) المسافرين ، واختاره ابن جرير ، وقال : ومنه قولهم : " أقوت الدار إذا رحل
أهلها " . وقال غيره : القي والقواء : القفر الخالي البعيد من العمران . وقال عبد الرحمن بن
زيد بن أسلم : المقوي هنا الجائع . وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : (ومتاعا
للمقوين) للحاضر والمسافر ، لكل طعام لا يصلحه إلا النار . وكذا روى سفيان ، عن
جابر الجعفي ، عن مجاهد . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : (للمقوين)

المستمعين الناس أجمعين . وكذا ذكر عن عكرمة . وهذا التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع . ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار ، وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه ، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى ، وأوقد ناره فأطبخ بها واصطلى ، واشتوى واستأنس بها ، وانتفع بها سائر الانتفاعات . فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاما في حق الناس كلهم . وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدّاش حبان بن زيد الشرعي الشامي ، عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " المسلمون شركاء في ثلاثة : النار والكأ والماء " . وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ثلاث لا يمتنعن : الماء والكأ والنار " . وله من حديث ابن عباس مرفوعا مثل هذا وزيادة وثمنه ولكن في إسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف والله أعلم .